جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القرآن الكريم

المرحلة **الثانية**

السيرة النبوية

الدكتور : أحمد فرج

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

****

هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة المنورة

الهجرة النبوية : هي من أهم الاحداث التاريخية في الإسلام، وهي تعبير يشير إلى هجرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة إلى المدينة مع مجموعة من أنصاره وأصحابه الذين عُرفوا بالمهاجرين فيما بعد، وبها بدأ العدّ التصاعدي في تاريخ الإسلام، مع أنّ هناك هجرتان سبقتا هذه الهجرة قام بها المسلمون، حيث هاجروا إلى الحبشة لما لقيه المسلمون من الظلم والمهانة من مشركي مكة ، لكن بخروج النبي منها بعد وفاة زوجته خديجة وعمه أبي طالب في العام الثالث عشر من البعثة عرف التاريخ مبدأ جديداً له .

خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة ليلة ١ ربيع الأول ووصل إلى منطقة قبا وأقام فيها أول مسجد في الإسلام عُرف بمسجد قبا وانتظر هناك حتى وصول الإمام علي (عليه السلام) مع الفواطم ثم دخل المدينة في يوم ١٢ ربيع الأول .

<u>دوافع الهجرة من مكة إلى المدينة :</u>

أولاً : إن مكة لم تعد أرضاً صالحة للدعوة ، فقد حصل النبي « صلى الله عليه وآله » منها على أقصى ما يمكن الحصول عليه ، ولم يبق بعد أي أمل في دخول فئات جديدة في الدين الجديد ، في المستقبل القريب على الأقل ؛ فإن البقاء في مكة ليس فقط لا مبرر له ، بل هو خيانة للدعوة الإسلامية ، ومساعدة على حربها ، والقضاء عليها ، ولا سيما بعد أن جندت قريش كل طاقاتها للصد عن سبيل الله، وإطفاء نوره ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

نعم ، لقد كان لا بد من الانتقال إلى مركز آخر ، تضمن الدعوة فيه لنفسها حرية الحركة ، في القول والعمل ، بهدوء بعيداً عن ضغوط المشركين ، وفي منأى عن مناطق سيطرتهم ونفوذهم .

ثانياً : إن الإسلام وممثله وداعيته الرسول الأكرم « صلى الله عليه وآله » لا يمكن له أن يقتنع بهذا النصيب المحدود من التقدم ، لأن دينه دين البشرية جمعاء : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ .

ثالثاً : لقد رأت قريش أخيراً : أنها قد اهتدت للطريقة التي تستطيع بواسطتها أن تقتل النبي « صلى الله عليه وآله » ، دون أن تكون مسؤولة أمام الهاشميين بشكل محدد ، أو بالأحرى دون أن يستطيع الهاشميون أن يطالبوا بدم النبي « صلى الله عليه وآله » ، وذلك بأن يقتله عشرة ، كل واحد منهم من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قبيلة ، فيضيع دمه في القبائل ، ولا يستطيع الهاشميون مقاومتها جميعاً ؛ لأنهم إما أن يقاتلوا القبائل كلها ، وتكون الدائرة عليهم ، وإما أن يقبلوا بالدية ، وهو الأرجح ، وإذا قتل النبي «صلى الله عليه وآله » فإن القضاء على غيره من أتباعه يكون أسهل وأيسر ، ولا يشكّل لقريش مشكلة ذات شأن .

وبعد كل ما تقدم يتضح : أنه كان لا بد للنبي الأعظم « صلى الله عليه وآله » ، ولمن معه من المسلمين من الخروج من مكة إلى مكان أمن وسلام لا يشعرون فيه بأي ضغط ، يملكون فيه حرية الحركة ، وحرية الكلمة ، وحرية التخطيط لبناء مجتمع إسلامي يكون فيه النبي « صلى الله عليه وآله » قادراً على القيام بنشر دعوته ، وإبلاغ رسالته ، على النحو الأفضل والأكمل .

سر اختيار المدينة :

وأما عن سر اختيار النبي « صلى الله عليه وآله » للمدينة بالذات داراً لهجرته ، ومنطلقاً لدعوته ، دون غيرها كالحبشة مثلاً ؛ فذلك يرجع إلى عدة عوامل ، نذكر منها ما يلي :

١ – إن مكة كانت تتمتع بمكانة خاصة في نفوس الناس ، وبدون السيطرة عليها ، والقضاء على نفوذها الوثني ، واستبداله بالنفوذ الإسلامي ؛ فإن الدعوة تعتبر فاشلة ، وكل الجهود تبقى بدون جدوى ؛ فإن الدعوة كانت بحاجة إلى مكة ، بنفس القدر الذي كانت مكة بحاجة فيه إلى الدعوة .

فلا بد من اختيار مكان قريب منها ، يمكن أن يمارس منه عليها رقابة ، ونوعاً من الضغط السياسي والاقتصادي ، وحتى العسكري إن لزم الأمر في الوقت المناسب ، حينما لا بد له من أن يفرض سلطته عليها .

والمدينة ، هي ذلك الموقع الذي تتوفر فيه مقومات هذا الضغط ، فهي تستطيع مضايقة مكة اقتصادياً ؛ لوقوعها على طريق القوافل التجارية المكية ، وقريش تعيش على التجارة بالدرجة الأولى .

كما أن ذلك يهيئ للنبي « صلى الله عليه وآله » الفرصة لعرض دعوته على القوافل التي تتجه من بلاد الشام والأردن وفلسطين وغيرها إلى مكة ، والتمهيد لإفشال كثير من الدعايات التي يمكن للمكيين أن يطلقوها ضد الإسلام وأهله .

٢ – لقد عرفنا مما تقدم : أن الهجرة إلى المدينة هي الحل المفروض ، الذي لا خيار معه ؛ وذلك لأن الهجرة إلى الطائف لم تكن بالتي تجدي نفعاً لأن أهلها رفضوا الاستجابة إلى النبي «صلى الله عليه وآله» حينما هاجر إليهم ، لأنهم يرون : أن مكة هي التي تستطيع أن تضايقهم اقتصادياً ، وهم إليها أحوج منها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إليهم .

وأما اليمن ، وفارس ، والروم ، وبلاد الشام وغيرها ؛ فقد كانت خاضعة لسلطة الدولتين العظميين ، اللتين لن يكون نصيب الرسول والرسالة منهما سوى المتاعب والأخطار الجسيمة .

وأما الحبشة فهي بحكم موقعها الجغرافي مفصولة عن مكة ، كما أنها بحكم واقعها الاجتماعي ، والسياسي ، والبشري ، والعنصري ، وبحكم كونها بلداً أفريقياً ، فإنها ليست بلداً قادراً على أن يقود عملية التغيير العالمية الشاملة ، لا اقتصادياً ، ولا سياسياً ، ولا عسكرياً ، ولا حتى فكرياً ، واجتماعياً .

أضف إلى ذلك : أن مهاجمة مكة بجيش من الحبشة لسوف يدفع العرب كافة إلى الوقوف إلى جانب قريش ضده ، بخلاف ما لو كانت عملية التغيير منطلقة من الداخل حينما يؤمن بدعوته الفقراء ، والمستضعفون ، ويواجه هؤلاء الملأ والمستكبرين من قومهم بالذات .

وهكذا يتضح : أنه ليس ثمة إلا المدينة ، والمدينة فقط ، موقعاً مناسباً للهجرة فكانت الهجرة إليها .

٣ – ومن الجهة الأخرى ، فإن المدينة كانت أغنى من مكة زراعياً ، أي أنها لو فرض عليها أن تتعرض لضغط تجاري من نوع ما – مع أنه ليس باستطاعة مكة أن تفعل شيئاً من ذلك – فإنها تستطيع أن تقاوم هذا الضغط ، وتحتفظ لنفسها بنوع من الحياة ، ولو بصعوبة ما ، من دون أن تستسلم لإرادة الآخرين ، وتنساق وراء رغباتهم ، كما كان الحال بالنسبة لغيرها .

هذا عدا عن أن الدعوة التي تحتاج إلى نشاط واسع ، وجهد شامل ، لأنها تريد أن تقود عملية التغيير الشامل على مستوى عالمي – هذه الدعوة – تحتاج إلى استقرار اقتصادي داخلي ، يستطيع أن يوفر الفرصة لحملة هذه الرسالة للحركة في سبيل نشر دينهم ، وبث رسالتهم .

٤ – وإذا كان الحج من أهم تشريعات الإسلام ؛ فما دامت مكة في أيدي الوثنيين ؛ فإنه سوف يفقد أثره وفعاليته في مجال التربية السياسية ، والاجتماعية ، وفي غير ذلك من مجالات ، وأيضاً ، فما دامت مكة في أيدي الوثنيين ، فلسوف يبقى لهم نفوذ واسع في القبائل العربية ، وقدسية من نوع ما في نفوسهم .

فلا بد إذاً من إخراجها من أيديهم ؛ لينتهي ما لهم من رصيد معنوي في نفوس الناس ، ولتنفتح القلوب بكل ما لديها على الدين الجديد ، وليتمكن المسلم من أن يؤدي إحدى أعظم شعائره – الحج – بحرية تامة ، دونما رادع أو زاجر .

وبعد هذا ، فإن أقرب المواقع إلى مكة هو المدينة ، وهي التي تملك إلى جانب قوتها الاقتصادية كثافة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سكانية جيدة ، تستطيع أن تقوم بالمهمة التي توكل إليها تجاه مكة على أكمل وجه ، ولا توجد هذه الميزة في أي من المناطق القريبة إلى مكة .

٥ – إن أهل المدينة كانوا في الأصل من مهاجري اليمن ، التي كانت تمتلك شيئاً من الحضارة البدائية في قديم الزمان ، فهم ليسوا أعراباً ؛ لتكون قلوبهم ممعنة في القسوة ، ولا كان ثمة زعامات ومصالح خطيرة لهم في المنطقة ، كما كان الحال بالنسبة لقريش .

٦ – ثم إن أهل المدينة قد ذاقوا مرارة الانحراف كأشد ما يكون ، وقد أنهكتهم الحروب (الحرب بين الاوس والخزرج) وأكلتهم ، ويعيشون في رعب دائم وخوف مستمر ، حتى إنهم ما كانوا يضعون السلاح لا في الليل ولا بالنهار .

٧ – لقد كانت بشائر اليهود بقرب ظهور نبي في المنطقة قد جعلت الكل مستعدين لقبول هذا الدين ، ولكنهم يحتاجون إلى مناسبات دافعة ، إلى ظروف مشجعة ؛ فلماذا يهملهم الرسول «صلى الله عليه وآله» ولا يهيئ لهم الفرصة لذلك؟! .

٨ – هذا كله ، عدا عن أن أهل المدينة أنفسهم قد طلبوا ذلك من النبي الأكرم « صلى الله عليه وآله » وبايعوه بيعة العقبة ، ووعدوه النصر ، والنبي « صلى الله عليه وآله » إنما يتصرف وفق الإرادة الإلهية التي لا تغيب عنها تلك المصالح وسواها .

التحضير للهجرة النبوية وإيثار الإمام علي (عليه السلام) :

بعد مكر قريش وتخطيطها لقتل النبيّ « صلى الله عليه وآله » نزل جبرئيل على رسول الله « صلى الله عليه وآله » بما كان من كيدهم، وأخبره الخبر ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ثمّ جاءه بأمر من الله في ذلك ووحيه، وما عزم له من الهجرة ، ثم دعا الإمام علي (عليه السلام) فقال له : " يا عليّ ، إنّ الروح هبط عليّ يخبرني أنّ قريشًا اجتمعت على المكر بي وقتلي، وإنّه أوحي إليّ عن ربي عزّ وجلّ أن أهجر دار قومي، وأن أنطلق إلى غار ثور تحت ليلتي، وإنّه أمرني أن آمرك بالمبيت على مضجعي لتخفي بمبيتك عليهم أثري، فما أنت صانع ؟ ، فقال الإمام علي (عليه السلام) أو تسلمنّ بمبيتي هناك يا نبيّ الله ؟ قال : نعم ، فتبسّم عليٌّ ضاحكًا، وأهوى إلى الأرض ساجدًا شاكرًا لما أنبأه به رسول الله من سلامته ، ثم قال لرسول الله : امضِ بما أُمرت فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومرني بما شئت، وإنْ توفيقي إلّا بالله " .

في الطريق إلى المدينة :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن أبي عبد الله « عليه السلام » : إن رسول الله « صلى الله عليه وآله » لما خرج من الغار متوجهاً إلى المدينة ، وقد كانت قريش جعلت لمن أخذه مئة من الإبل ، خرج سراقة بن جشعم فيمن يطلب ، فلحق رسول الله ، فقال « صلى الله عليه وآله » : اللهم اكفني سراقة بما شئت ، فساخت قوائم فرسه ، فثنى رجله ثم اشتد ، فقال : يا محمد إني علمت أن الذي أصاب قوائم فرسي إنما هو من قبلك ، فادع الله أن يطلق إلي فرسي ، فلعمري ، إن لم يصبكم خير مني لم يصبكم مني شر ، فدعا رسول الله « صلى الله عليه وآله » : فأطلق الله عز وجل فرسه .

النبي (صلّى الله عليه وآله) في المدينة :

بعد خمسة عشر يوماً من إقامته « صلى الله عليه وآله » في قباء ، تحرك إلى داخل المدينة .

وقد اختلف المؤرخون في التاريخ الدقيق لخروجه « صلى الله عليه وآله » من مكة ودخوله قباء ثم المدينة اختلافاً كثيراً ، مع اتفاقهم على أنه قد دخلها في أوائل ربيع الأول ، وقد حقق العلامة المجلسي : أن هجرته « صلى الله عليه وآله » كانت في يوم الاثنين ، أول ربيع الأول ، وورود المدينة في يوم الجمعة الثاني عشر منه ، كما ذهب إليه الشيخ المفيد.

****

بناء المسجد :

اشترى النبي « صلى الله عليه وآله » – أو وهب له – موضع المسجد ، الذي يقال : إنه كان مربداً (محبس الإبل أو مكان تجمع التمر أو المكان الخالي خلف البيوت) ليتيمين من الخزرج ، كانا في حجر أسعد بن زرارة ، أو غيره اشتراه – على ما قيل – بعشرة دنانير .

فأسس « صلى الله عليه وآله » المسجد في ذلك الموضع ، ونقلوا إليه الحجارة من منطقة الحرة ، وشارك « صلى الله عليه وآله » بنفسه في نقلها ، الأمر الذي دفع الصحابة إلى الدأب في العمل ، والجد فيه .

وجعل طوله مئة ذراع في مثلها ، أو قريباً من ذلك ، وقيل : جعله سبعين في ستين ، وابتنى الرسول « صلى الله عليه وآله » مساكنه ، وابتنى أصحابه مساكنهم حول المسجد ، وكل قد شرع له إلى المسجد باباً ، وقد سدت الأبواب كلها فيما بعد سوى باب أمير المؤمنين « عليه السلام »

لماذا المسجد أولاً :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن من الملاحظ : أن أول عمل بدأ به « صلى الله عليه وآله » في المدينة هو بناء المسجد ، وهو عمل له دلالته وأهميته البالغة ، وذلك لأن المسلمين كانوا فئتين : مهاجرين وأنصاراً ، وتختلف ظروف كل من الفئتين ، وأوضاعها النفسية ، والمعنوية ، والمعيشية ، وغير ذلك عن الفئة الأخرى .

والمهاجرون أيضاً كانوا من قبائل شتى ، ومستويات مختلفة : فكرياً ، واجتماعياً ، مادياً ، ومعنوياً ، كما ويختلفون في طموحاتهم ، وتطلعاتهم ، وفي مشاعرهم ، وفي علاقاتهم ، ثم في نظرة الناس إليهم ، ومواقفهم منهم ، وتعاملهم معهم ، إلى غير ذلك من وجوه التباين والاختلاف ، وقد ترك الجميع أوطانهم وأصبحوا بلا أموال ، وبلا مسكن ، إلى غير ذلك مما هو معلوم ، وكذلك الأنصار ؛ فإنهم أيضاً كانوا فئتين متنافستين ، لم تزل الحرب بينهما قائمة على ساق وقدم إلى عهد قريب .

وقد أراد الإسلام أن ينصهر الجميع في بوتقة الإسلام ليصبحوا كالجسد الواحد ، في توادهم وفي تراحمهم وتعاونهم ، وغير ذلك ، وأن تتوحد جهودهم وأهدافهم ، وحركتهم ، ومواقفهم ، الأمر الذي يؤكد الحاجة إلى إعداد وتربية نفسية ، وخلقية ، وفكرية لكل هذه الفئات ، لتستطيع أن تتعايش مع بعضها البعض ، ولتكون في مستوى المسؤولية ، التي يؤهلها لها في عملية بناء للمجتمع المتكافل المتماسك الذي هو نواة الأمة الواحدة التي لها رب واحد وهدف واحد ، ومصير واحد .

وليصبح هذا المجتمع قادراً على تحمل مسؤولية حماية الرسالة ، والدفاع عنها ، حينما يفرض عليه أن يواجه تحدي اليهود في المدينة ، والعرب والمشركين ، بل والعالم بأسره ، لا بد أن تنصهر كل الطاقات والقدرات الفكرية والمادية وغيرها لهذا المجتمع في سبيل خدمة الهدف .

والمسجد هو الذي يمكن فيه تحقيق كل ذلك ، إذ لم يكن مجرد محل للعبادة فقط ولا غير ، بل كان هو الوسيلة الفضلى للتثقيف الفكري ، إن لم نقل : إنه لا يزال حتى الآن أفضل وسيلة لوحدة الثقافة والفكر والرأي ، حينما يفترض فيها أن تكون من مصدر واحد ، وتخدم هدفاً واحداً في جميع مراحل الحياة ، مع الشعور بالقدسية ، والارتباط بالله تعالى .

وخلاصة الأمر : أن العمل الاجتماعي عبادة ، والجهاد عبادة ، والعمل السياسي حتى استقبال الوفود ، وتدبير أمور المسلمين عبادة أيضاً .

وهكذا يقال في علاقات المؤمنين بعضهم ببعض ، وتزاورهم وحضورهم مجلس الرسول « صلى الله عليه وآله » وتعلمهم الأحكام ، فإن كل ذلك وسواه عبادة أيضاً .

والمسجد هو أجلى وأفضل موضع تتجلى فيه هذه العبادة ، كما أن المسجد هو الوسيلة الفضلى للتثقيف ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وللتربية النفسية ، والخلقية ، والعقائدية .

وهو من الجهة الأخرى وسيلة لشيوع الصداقات ، وبث روح المحبة والمودة بين المسلمين ، فإنه حينما يلتقي المسلمون ببعضهم البعض عدة مرات يومياً في جو من الشعور – عملاً – بالمساواة والعدل ، وحينما تتساقط كل فوارق الجاه والمال ، وغيرها ، ويبتعد شبح الأنانية والغرور عن أفق هذا الإنسان ، فإنه لا بد أن تترسخ حينئذٍ فيما بين أفراد هذا المجتمع أواصر المحبة والتآخي والتآلف ، ويشعر كل من أفراده بأنه في مجتمع يبادله الحب والحنان ، وأن له إخواناً يهتمون به ، ويعيشون قضاياه ومشاكله ، ويمكنه أن يستند إليهم ، ويعتمد عليهم ، الأمر الذي يجعل هذا المسلم يثق بنفسه وبدينه ، وبأمته ، وليكون المثال الحي للمؤمن الصادق الواعي والواثق ، ولتكون الأمة من ثم خير أمة أخرجت للناس .

وبعدما تقدم ، فإننا نعرف : أن النبي « صلى الله عليه وآله » قد أسس المسجد ليكون بمثابة مركز للقيادة والريادة ، ففيه كان « صلى الله عليه وآله » يستقبل الوفود ، ويبت في أمور الحرب والسلم ، ويفصل الخصومات ، وفيه كان يتم البحث عن كل ما يهم الدولة وشؤونها ، والناس ، ومعاملاتهم وارتباطاتهم ، وليهب المسجد الناس نفحة روحية ، وارتباطاً بالله جل وعلا ، وببعضهم البعض في كل مجالات الحياة ، ومنطلقاتها ، بعيداً عن النوازع الذاتية ، وعن الحساسيات القبلية والعرقية ، وعن تأثيرات الفوارق الاجتماعية .

والخلاصة : لقد كان المسجد موضع عبادة وتعلم وتفهم لما يفيد في أمور الدين والدنيا ، وتربية نفسية وخلقية ، ومحلاً للبحث في كل المشاكل التي تهم الفرد والمجتمع ومكاناً مناسباً للتعارف والتآلف بين المسلمين ،إلى غير ذلك مما تقدم .

مشاركة النساء في بناء المسجد :

ورد في بعض النصوص : أن النساء قد شاركن في بناء المسجد، فكن يحملن الحجارة لبناء المسجد ليلاً والرجال نهاراً .

ونشير هنا إلى أمرين :

الأول: إن مشاركة المرأة في أمر كهذا ، له مساس بالحالة السياسية والاجتماعية والعبادية ، يعتبر أمراً مهماً جداً ، إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن المرأة لم يكن لها أي دور في الحياة وكان العربي يحتقرها ، ويمارس ضدها أبشع أنواع المعاملة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner